177191 ـ من هم الأخسرون أعمالاً ؟ وهل يدخل فيهم العصاة ؟

السؤال

المرجو تفسير هذه الآية الكريمة (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) الكهف/ 103 – 105 . والمطلوب بيانه من هم الأخسرون أعمالا من المسلمين ؟ وهل من لم يتبع رسول الله في أمر إعفاء اللحية هو مِنَ الأخسرين أعمالاً أم هذا بعيد عن قوله تعالى في هذه الآية الكريمة ؟ . والمرجو تبيان دعاء نبي الله ورسوله الكريم بالمغفرة للمحلقين هل الذين يحلقون لحاهم ؟! .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

هذه الآية من سورة " الكهف " وهي سورة مكية ، فالآية نزلت في الكفار عبدة الأوثان الذين أضلتهم شياطينهم فزينت لهم أعمالهم وحسبوا أنهم مهتدون وأن أهل الإسلام على ضلال ، كما أخبر الله تعالى عنهم ذلك في قوله (وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) الزخرف/ 37 , وقال تعالى (إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) الأعراف/ 30 ، وقد بيَّن الله تعالى أنهم الكفار في قوله تعالى في الآيات نفسها (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ) .

وكون الآيات نزلت في المشركين مما لا شك فيه ؛ لأن الآية مكية ـ كما قدمنا ـ وهذا لا يعني أنها لا تشمل غيرهم ، فهي تشمل اليهود والنصارى لفظاً ومعنى وحكماً ، وتشمل أهل البدع والضلال بحسب ما في اعتقادهم وأعمالهم من ضلال ومخالفة للشرع ، فالحبوط للأعمال – في الآيات ـ هو بالكلية للكفار والمشركين والمرتدين ، وأما أهل البدعة والضلالة من المسلمين ؛ فإن أعمالهم لا تحبط حبوطا عاما ، وإنما يحبط منها ما كان مبتدَعاً مخالفاً للشرع .

قال ابن كثير – رحمه الله ـ : " روى البخاري عن مُصْعَب قال : سألت أبي ـ يعني : سعد بن أبي وقاص – (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا) أهم الحَرُورية ؟ قال : لا هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذَّبوا محمَّداً صلى الله عليه وسلم ، وأما النَّصارى كفروا بالجنة ، وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان سعد رضي الله عنه يسمِّيهم الفاسقين .

وقال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية – يعني : الخوارج ـ .

ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه : أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية ، كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم ، لا أنها

نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء ، بل هي أعم من هذا ؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى ، وقبل وجود الخوارج بالكلية ، وإنما هي عامة في كل مَن عبَد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ؛ وهو مخطئ وعمله مردود ، كما قال تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً) الغاشية/ 2 – 4 ، وقوله تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) الفرقان/ 23 ، وقال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) النور/ 39 .
وقال في هذه الآية الكريمة (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ) أي : نخبركم (بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا) ثم فسرهم فقال (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي : عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) أي : يعتقدون أنهم على شيء ، وأنهم مقبولون محبوبون " . انتهى من " تفسير ابن كثير " (5 / 201 ، 202) .

وللفائدة فقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن آيات الغاشية – السابق ذكرها في النقل عن ابن كثير – أنها يوم القيامة ، وأن وجوه الكفار فيها تخشع أي : تذل ، وتعمل وتنصب ، وليست هي في الدنيا ، انظر كلامه في " مجموع الفتاوى " (16 / 217 – 220) .

وبذلك يُعلم أن الآية لا تشمل من عصى الله تعالى فحلق لحيته ، وإنما هي في باب التعبد ، وقد علم أن الآية في الكفار أصالة ، وأن دخول أهل البدع فيها إنما هو من باب القياس والإشارة .

ثانيا :
حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ (اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ) قَالُوا : وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ (اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ) قَالُوا : وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ (وَالْمُقَصِّرِينَ) فقد رواه البخاري (1640) ومسلم (1301) ، لا علاقة له بهذه المسألة أصلا ، ولا علاقة له أيضا بحلق اللحية ، أو تقصيرها ؛ وإنما هو بلا شك في التحلل من العمرة والحج بحلق شعر الرأس ، ولا نظن مسلماً يجرؤ على القول إن الحلق يشمل حلق اللحية ، ومن قال ذلك فقد بلغ في الجهل غايته ، فيعلَّم ويؤدَّب لأنه قال على الله تعالى بغير علم ، وأما إن كان قائله ممن ينتسب إلى العلم ، فلا شك أن قوله ذلك استهزاء وسخرية ، ولعب بآيات الله ، وتحريف للكلم عن مواضعه .

والله أعلم